المحاضرة التاسعة

الحياة الاجتماعية في مملكة بوغندة:

يستخدم الباغندة مثل غيرهم من الشعوب البدائية الأخرى نظاما خاصًّا تتحدَّد على أساسه رابطة القرابة، فالولد منذ صغره يتعلَّم أنّه عُضْوًا في ثلاث مجموعات هي: العائلة، الأسرة، والعشيرة، وعن طريق هذا النظام التصنيفي تتَّضح روابط القرابة، فتبدو واسعةً، أو ضيقةً، ويميز الباغندة جيدًا بين الأعضاء من عائلاتهم الخاصّة، والأقارب الآخرين من عائلات أخرى، حيث يُعَلِم الباغندة أطفالهم منذ الصغر المسافات القرابية، والتي على أسّاسها تتحدّد قواعد الميراث.

وهبوط النسب من جانب الأبِّ يعني، ذلك أنَّ كل طفل يعود للأب، أو لعشيرة الأب، وعندما تُزَوَّج البنت إلى عشيرة أخرى، ثمَّ تُطَلَق، ويعود معها الأبناء يقوم أعضاء العشيرة في النظر في القضية، ويُعالجونها بعدالة، حيث يُعلَّم أَبناؤها في الطفولة على احترام عشيرتها، لكن عندما يكبروا يَتَبَنَوْنَ عشيرة أبيهم.

ومن عادات الباغندة أن لا يتزوج رجل من عشيرة أمّه، ويعتبر ذلك محرمًا في اعتقادهم؛ إذ ذلك فيه قُرْب العلاقة مع الأمّ، إلى جانب ذلك لا يمكن أن يقيم رجل علاقة زواج مع بنات أخوات أبيه (بنات عمّاته)، أو بنات إخوة أمه (بنات خاله)، كما يُحَرّم عليه الاقتراب منهن، أو تسليمه أي شيء، ويعتقدون في ذلك أنّه إنْ أخذ شيئًا من أيديهن يمكن أن يُصاب بمرض، أو تصبح يَدَه ترتعد.

وعند اختيار الزوجة الرجل كان لزامًا عليه أنْ يكون حَذِرًا بأن لا يتزوج من ضِمْن الدرجات المُحَرّمة للعلاقة، والرجل لا يمكن أن يرى عمته، ويتكلّم معها وجهًا لوجه بعد الزواج، فلابدّ عليها أن تُغَطي وجهَها، وإذا تقابلت المرأة مع صِهْرها في الطريق، فلا بُدَّ عليه أنْ يُعطيها الطريق، وينعطف هو في طريق آخر، وإذا جاء إلى البيت لا يدخلُ للبيت، ولا يُسْمَح له بتكليمها، إلَّا بمسافة معينة

العائلة، وخصّائصها:

في صميم المنظومة الإجتماعية، والاقتصادية لمجتمع الباغندة كانت العائلة تتمثل في رئيس العائلة، وهو ذَكَر، وزوجته، أو زوجاته، وأطفالهم، ومن حين لآخر كانت العائلة تتضمّن كذلك أطفالًا لِأَحدِ الأقرباء، أو نَسَبٍ آخرٍ، قد أُرسلوا هناك لتربيتهم، أو البعض الذين فقدوا آبائهم كالمسنّين مثلا، أو النساء الأرامل، أو الأخوات المُطلّقات من أزواجهن كلهنَّ يَعُدْن إلى أقربائهنّ، وإلى جانب ذلك عاش مع العائلة العبيد، والخَدَم المحليون، وبقيت العائلة على نفس الحال حتّى بداية الفترة الاستعمارية.

إنَّ نماذج التصرف الإجتماعي الصحيح دفع الشباب نحو الزواج، وأسّسوا لأنفسهم عائلاتًا، والذكور من الشباب يتمُّ تشجيعهم على الزواج من قِبَلِ شيوخهم؛ لأنّهم يرون أنّ الزواج هو الخطوة النهائية إلى الرجولة، أو إلى الأنوثة، والرجال، والإناث العُزَّاب يُحْتَقَرون في مجتمعهم، ويوصفون بِسَيِّئِي الحظ من جهة، ومن جهة أخرى يُعتبر الرجل

البالغ من غير الطبيعي أن يعيش مع أبويه، ويعدُّ ذلك حرامًا في مُعتقداتهم، ويُعرف ذلك بـ 'أوبيك' (Obuke)؛ لذلك تكاد تكون الأُسر الكبيرة غير موجودة في مملكة بوغندة.

وعندما يتوفى رئيس العائلة يُخلف عادةً من قِبَل ابنه، أو الأخ حيث يحمل موقعه، وإدارة شؤون ممتلكاته، ويرعى زوجاته، وأطفاله، وتقسيم العمل عند عائلة الباغندة مثل أيّ عائلة أخرى في إفريقيا، فكان مألوفًا أنَّ الزوج يمنح الحديقة للزوجة من أجل خدمتها، حيث تعتني بها قصد الحصول على الثمار من أجل غذاء أُسْرَتِها، خصوصا أشجار الموز الذي يعتبر الغذاء الرئيسي لهم، وكذا من أجل صنع الخمر لزوجها، وكذا الحصول على ألياف الأشجار من أجل صُنع القماش المعروف بـ 'الباركلوث' (Barckloth).

<u>تربية الأولاد:</u>

يرعى شعب الباغندة كثيرًا تربية الأولاد، حيث يعلّمونّهم منذ صغرهم على احترام، وتقدير رؤسائهم، وسرعان ما يُفكرون في إدخالهم على أسيادهم، من أجل تقديم أشياء لهم حتّى، ولو كانت بسيطة، وتعليمهم مراسيم الدخول كالانحناء إلى أسيادهم.

ومن عادات الباغندة أيضًا أنّهم يُرسلون أولادهم إلى أقاربهم، حتّى يتدربون على مجالات الحياة المختلفة، واكتساب الولد لمهارة عالية، ويُصبح يعتمد على نفسه في الكثير من الأشياء بعيدًا عن أهله، والنساء عندما يتربّى أولادهنّ عندهنّ لا يسمحنّ بأنْ يُضْرَب أولادهنّ خاصّة من قِبَل أبائهم، لكن إنْ تمَّ إرسالهم إلى أعمامّهم لا يُمكن للأمّهات أنْ يعترضن على ذلك.

وعند بلوغ الفتاة سنَّ الثانية عشر، وتسمَّى هذه الفترة بـ 'Ambeesenga Gasuna' تأخذها الأمّ لتعيش مع الأخت الكبرى إذا كانت متزوجة، أو مع العمّة؛ لتشرح لها حقيقة الحياة، وهنا تتعرَّف الفتاة على العادات الزواجية عند الباغندة، وعند بلوغها سنَّ الثالثة عشرة، وبعد أن تكون قد أصبحت في عِداد الفتيات الناضجات عليها إطلاع العمَّة على كافة التغيرات التي تحدُث لها.

<u>لباس الباغندة:</u>

تختلف قبائل الباغندة بعض الشيء عن القبائل الأخرى، وهذا لإصرارهم على تغطية الجسم كلّه بالملابس، ولباس النساء عند الباغندة هو عادي جدًّا، بحيث ترتدي النساء قُماش لحاء الأشجار 'الباركلوث' (Barckloth) في كلّ مكانٍ، وبمرور الوقت صارت النساء، ولا سيما في العاصمة ترّتدينَّ الأقمشة خاصّة بعد الانفتاح على التجارة الخارجية، ودخول السلع العربية القادمة من زنجبار، وبلاد السودان.

وبالرغم من أن الأولاد قبل بلوغهم سن المراهقة كانوا يسيرون، وهم عرايا، إلا أنّ البنات يرتدينّ نفبة، أو مئزرا تتدلى منه شرائح متناثرة من أوراق الموز، وبعد بلوغهن سنَّ المراهقة كن يرتديّنَ ثيابا تلف أجسادهن، وتغطيها من الإبطين حتى القدمين.

أمّا بخصوص الرجال فهم يتبنون أسلوب لباسٍ أكثر عقلانية، حيث كانوا يرتدون كذلك ألبسةً عريضةً مصنوعةً أيضًا من قُماش لحاء الأشجار، وبألوان مختلفة حسب نوعية

حصاد اللّحاء، وبمرور الوقت أصبحوا يرتدون سراويلًا من القطن، أو سُتْرَةً، أو قميصًا، وكثيرا ما تكون طويلة بيضاء، تسمى 'كانزو' (Kanzu) تصل إلى الكَاحِلين، وغالبًا ما يكتمل هذا اللّباس بمعطف قد يكون مُطرزًا بالأحمر، أو بالأبيض.

وعليه يُعتبر لباس الرجال مناسبًا، ومعقولًا جدًا، فكلّ من الفتيان، والرجال يُلاحظ دوما؛ لأنّ لباسهم جيد، وهم حريصون على إبقاء ملابسهم نظيفة، كما يرغبون في إرتداء الملابس المصنوعة من جلود، أو أشعار الماعز.

النظام الغذائي:

بالحديث عن أنواع الأطعمة التي يتناولها شعبُ الباغندة تأتي في المُقام الأول وجبة الموز، التي لا تتطلّب مهارةً كبيرةً في إعدادها، فهي بسيطة جِدًّا حيث يُقشر الموز، ويُوضع بداخل سلّة مُبطّنة بأوراق لمدّة، حتىّ يَجِف قليلًا ثمّ يوضع في قِدْر من الطين فوقَ النّار لمدَّة، حتّى يكون بعدها مطهيًا دون أنْ يُضاف له الماء، وتقوم بعد ذلك المرأة بعجنه بيديها، وتُقَسِّمه إلى أجزاء، وتضعه داخل أوراقٍ حتّى يتسنّى للجميع أخذ نصيبه، وذلك باجتماع كامل أفراد الأُسرة على كومة كبيرة منه، ويتناولونه مع بَعْض، وتعرف تشكيلة الموز هذه عند الباغندة باسم 'ماتوك' (Matooke).

وإلى جانب طعام الموز يُصنع كذلك خَمْرُ الموز، والذي يُنْضج ببطء على نار قليلة، ويُستخدم في صنع هذا الخمر جميع أنواع الموز الحلو الناضج الذي يُزرع في مملكة بوغندة لهذا الغرض، يتمُّ تحضيره من خلال تقشير الموز، ووضْعِه في سِلّة مع إضافة بعض الأعشاب، والتوابل، والسوائل الأخرى؛ ليُخلط معه باليدين، ويُترك بعدها لفترة حتّى يَخْمُر ليُصْبِح بعدها خمرًا، وعندما تكون الحاجة إلى كمية كبيرة منه، وليس المقصود بها للاستهلاك اليومي؛ بل للمراسيم، والاحتفالات يُوظّف مجموعة من الرجال لتحضيره، وفي كثيرٍ من الأحيان يلجؤون إلى عَجْنِه بأقدامهم نظرًا للكمية الكبيرة المُحضرة